بحث في الصحة والزواج

ربط الزوجية واسباب الهناء والشقاء

ليس من العدل ان تمنع شخصين متحابين من الزواج بحجة ضعفهما وعدم اكتمال قواهما . فقد ثبت ان الكثيرين ممن لم يسبغ الله عليهم ثوب الصحة تزوجوا فكانوا من اسعد الناس واهنأهم . بيد ان الاطباء قد اجمعوا على وجوب منع المصابين بالامراض الزهرية المزمنة من الزواج . ويجب أن ينص القانون بالصراحة على عزل المصاب بها كما يعزل المصاب بالجدري او غيره من العلل المعدية

الصراحة شرط لازم

ان تلك الزهري والسيلان المزمن بالمتزوجين لما يقصر دونهُ الوصف . فهما اعظم اللعنات التي تنتاب الازواج وتذهب بهنائهم . وكثيراً ما تضيع بهجة الحياة وتزول مسرات الزواج — ليس لما قد ينشانهِ من الاثر في صحة الزوجين ونسلهما بل ولما قد يحدثانهِ من الاثر السيء في القوى العقلية ايضاً ولما قد يورثانه من الندم والحسرات

فسلامة الزوجين من هذين المرضين شرط لازم . وعلى الذين يقدمون على الزواج ان يلزموا جانب الصراحة ويعترفوا بحقيقة حالتهم الصحية على وجه الاجمال وسلامتهم من كل محظور ومحذور . ومن المستحسن تأييد هذا الاعتراف بشهادة حكيم الاسرة او من يقوم مقامهُ . وفي الواقع ان قانون بعض الولايات الاميركية ينصُّ على وجوب فحص طالبي الزواج لاثبات لياقتهم للزواج . ومثل هذا القانون يجب نشره في جميع البلاد المتمدنة بحيث لا يباح لمن كان مصاباً بعاهة جسمية طارئة او وراثية او بداء السل او ضعف القلب او ما اشبه ان يتزوج من دون ان ينذر زوجهُ . والا عدَّ خادعاً وكان زواجهُ عرضة للالغاء . فاذا اعترف كل من طالبي الزواج للآخر بحقيقة حاله ولم يكتم عنهُ شيئاً ثم اتضح انهما مع ذلك لا يحجمان عن الزواج فذلك شأنهما وليس لاحد ان يتعرض لهم برأي أو انتقاد لانهما يحملان تبعة عملهما ولو كان بعض اليوجنيين يذهبون الى ان هذا من شأن الامة ويجب أن تمنعهُ لتمنع تكاثر المرضى والمصابين بالعاهات

ومن دواعي الغبطة ان الامراض التي ثبت انها وراثية ليست كثيرة . ومن فساد الرأي ان يحجم المرء عن الزواج خيفة ان يورث نسله الدياباطس او حسر النظر أو

ضعف الاعصاب او ما الى ذلك . فان هذه الامراض ليست وراثية . ولكنَّ عدد الامراض الجسمية والعقلية كثير جداً ومن المستحسن ان يستشير المقبل على الزواج طبيباً في امرها وان يبحث عن مصدرها وهل هي موروثة او طارئة وقد يكون من الحكمة في بعض الحالات تعمُّد احداث العقم والامتناع عن النسل بحيث يكتفي اذ ذاك كل من الزوجين بان يعيش مع زوجه محروماً لذة النسل ومعتاضاً عنها ببهجة العيشة المنزلية الراضية

اساليب العيشة الصحية

تقوم الحياة السعيدة في الزواج على اعتبارات عدة اولها واهمها ان يجري الزوجان في معيشتهما على نظام منطبق على شروط الصحة والحكمة . ولا يخفى اننا نعلم اليوم عن حقيقة الامراض وكيفية الوقاية منها اكثر مما كان اسلافنا يعلمون . واننا نحسب مقصرين اذا نحن لم نلزم جادة الحكمة في امورنا . ومن الواجب علينا ان نطبق العلم على العمل في كل ما لهُ علاقة بالغذاء والماء والنظافة والثياب والرياضة والهواء الطلق وغيرها

ومما يدعو الى الارتياح اننا قد وقفنا على اسرار كثيرة خاصة بالامراض العقلية وعلاقتها بناموس الوراثة وتربية النسل ولاسيما ما يصيب الجسم من الضعف بسبب الخوف والتوهم واضطراب الفكر . كما ان العلم قد اماط اللثام ايضاً عن علاقة الغذاء بالقوى العقلية وحدد المبادئ التي يجدر السير بحسبها والاستعانة بها على اجتناب المحن التي قد تصيب الزوجين او يصاب بها نسلهما . وليس يكفي ان يعيش المرء عيشة صحية فقط بل يجب ان يعنى ايضاً باساليب الوقاية من المرض ومن جملتها «التطعيم» بما يقي من الجدري والدفتيريا واستشارة الحكيم وطبيب الاسنان عند كل عارض . ومن الناس من يعتقد ان الافراط في الاهتمام بالشؤون الصحية مجلبة للمرض وهو خطأ لا يبررهُ الواقع

وهنالك امر آخر ذو شأن نجب مراعاته عند المرض وهو الحالة العقلية او النفسية في الشخص العليل . فكثرة التفكير في المرض قد تورث اعراضاً لا تختلف كثيراً عن المرض نفسه الاَّ في كون مصدرها العقل . ومن الاوجاع الطفيفة ما يصبح خطيراً اذا كثر الاهتمام بهِ . والغريب ان بعض الناس يفرطون في التفكير في اوجاعهم حتى ليخيل اليك انهم يشعرون بلذة في ذلك التفكير . وامثال هؤلاء يكبرون توافه الامور فيحسبون الخدش جرحاً والبثر الصغير خراجاً والرطاف زُرَيقاً والشامة سرطاناً والالم الطفيف كارثة وهم يشعرون بلذة باطنة كلما كثر اهتمام الناس بهم والتفاتهم اليهم فكأنهم يتمنون بآلامهم ويجدون فيها سبباً من اسباب النبطة

ان الصحة ليست غاية الحياة بل هي واسطة لبلوغ الغاية . والمرء لا يشعر عادة بقيام

اعضاء جسمه بوظائفها المختلفة . فالقلب ينبض والمعدة تنقبض والرئتان تتمددان والاعصاب تنقل الحواس والجهاز الهضمي يقوم بعمله — كل ذلك والمرء غير منتبه الى ما يجري في باطنه غير شاعر بما تحتاج اليه الاعضاء من تصليح وترميم

والرجل الذي يستلذ التفكير فيما يتوهمهُ من اوجاع يجد نفسه فريسة للافكار والخيالات المزعجة . فاذا طال به الزمن اصبح ما يتوهمهُ من الامراض امراً اعتيادياً ونقص اهتمام الناس به . وفي هذه الحالة تشتدُّ به السوداء ويخيل اليه ان الناس لا يكترثون لامره ولا يهتمون بما به . وفي ذلك ما يستنزُّ حقده على الاجتماع وما يزيد في اوجاعه الموهومة . ومثله في ذلك مثل مدمن المخدرات لا بدَّ له من تقوية الجرعة التي يتناولها باستمرار حتى تفعل الفعل المرغوب . لانهُ اذا لزم مقداراً معيناً منها فلا يلبث حتى لا يشعر بفعلها

عناية الطبيب قد تزيل الهموم

على انهُ اذا كانت الحكمة تقضي بعدم المبالاة في التفكير في الامراض فانها تقضي ايضاً من الجهة الاخرى بعدم تجاهل الاعراض الحقيقية . وان صحة كل من الزوجين لذات شأن عظيم في نظر الآخر . ومن العدل ان يعترف كل منهما بما قد يهدد صحة الاسرة كلها لكي يتاح تلافي الضرر قبل وقوعه . ان طائفة كبيرة من مساوئ الزواج واسباب الشقاء ترجع الى علة أو عاهة في الجسم . فشدة الانفعال وسرعة الغضب وقلة الصبر ونقص الرزانة هي اعراض قد لا تدل على فشل الزواج او انقطاع حبل المودة بين الزوجين بل على ان احدهما يعاني مرضاً حقيقياً كالتهاب الزائدة او تقرح المعدة او عن خلل طارىء على احدى الغدد او . . او . . ففي هذه الحالة لا تعيد السعادة الى نصابها الا مدية الجراح

المرض امتحان خطير

والمرض امتحان عظيم يكشف مواطن الضعف او القوة في العقد الزوجي . فاذا كان الحب الذي يربط الزوجين حقيقياً فالمرض يقويه ويزيل جميع عوامل الخلاف والشحناء واذا لم يكن كذلك — أي كان مؤسساً على الشهوة وحب الذات — فان المرض يبرزهُ بحالته الحقيقية . ومن الازواج من قد لا يكون الحب عندهم كثير الظهور وفي هذه الحالة يكون مرض احد الزوجين بركة لانهُ يعين على اظهار ذلك الحب الكامن . وليس غريباً ان يكون الحب كامناً وان لا يقوى صاحبهُ على التعبير عنهُ فكأنهُ يقيم حول عواطفه اسواراً تحول دون الوصول اليها . وهذه الحال توهم المراقب عن كثب ان الحب ميت بين الزوجين فينشأ عن ذلك شيء من النفور الذي يسميه الافرنج « سوء تفاهم » . فاذا اصيب احد الزوجين بمرض وقام الآخر بالعناية

به واظهار الحنان عليه ازاء ذلك ما بين الزوجين من نفور وفتور

وليس ذلك فقط بل ان الاشخاص المتازين بالافراط في اظهار العواطف والذين يغالون في الاعراب عما تكنهُ قلوبهم من الحب قد يوثق المرض اواصر حبهم ويزيد كلاً منهما تعلقاً بالآخر . ولقد يتفق ان تتوالى الامراض والمحن على اسرة من دون ان يكون ثمت سبب ظاهر . فينشأ عن ذلك شيء من الضيق قد يزيد في سوء حالة الاسرة ومصائبها . فمثل هذه الحالة قد تزيد في ارتباط الزوجين واشتداد اواصر الحب بينهما اذ عند الشدائد تعرف الاخوان . واذا مرض الاولاد واحتاجوا الى العناية في الليل والنهار واشتد الخطر ولاح ان حبل الرجاء ضعيف فحينئذٍ يبرز الحب من مكمنه وتظهر العواطف على أجلها . ثم ان الجهود التي تبذل في سبيل تربية الولد الوارث علة او عاهة من احد والديه تقوّي ربط المحبة بين الوالدين . فكأنَّ ذلك الولد هو صلة الموصول بينهما وهما يشعران بما عليهما من تبعة تربيته

والاهتمام بالولد العليل يجب ان لا ينقلب الى ما يشبه الشفقة . وكذلك العطف ايضاً يجب الفصل بينهُ وبين الشفقة . وكثيراً ما تكون المواساة رباطاً قويًّا بين الزوجين وأما الشفقة فانها تفصل احدهما عن الآخر لانها تشعر بوجود تفاوت بين المشفق والمشفَق عليه . وليس أشقّ عليك من ان تكسب ودَّ من اشفقت عليه

على ان المرض لا يقوّي بالضرورة الرابطة الزوجية بل قد يضعفها احياناً ولاسيما اذا كان ذلك المرض مزمناً يقضي بمزل المصاب وخدمته خدمة خاصة . وقد تكون هذه الخدمة عبئاً ماليًّا ثقيلاً على الاسرة يستنزف كل قواها . فضلاً عن ان مرض احد الزوجين مرضاً مزمناً قد يحول دون اشتراكهما في الاعمال والزيارات والحفلات التي تقتضيها الحياة الزوجية وهذه الحيلولة توسع شقة الفصل بين الزوجين فيستسلم المريض منهما الى مرضه ويتمسك الصحيح منهما بمباهج الحياة عن غير طريقة الزوجية . وقد يقودهُ هذا الى ادمان المسكر والتماس اللذة الكاذبة عن طريق المخدرات وما قد يلي ذلك . من العواقب

النشاكل الخاصة بالزوجة

ومن الاخطار التي تتهدد سعادة الزوجين ما يرجع الى الخلاف الطبيعي بين الجنسين . فالرجل الذي قد كفتهُ الطبيعة عناء الحيض الشهري يجب ان لا ينسى تأثير ذلك الحيض في المرأة وما يكبدها من الجهد الجسدي والعقلي . فلقد ينشأ فيها شيئاً من الخمول او سرعة التأثر . وللحمل ايضاً — او للخوف من الحمل اثر عظيم في المرأة . ومن النساء من يكرهن الحمل وينظرن اليهِ نظرة الهلع كما فكرن فيما يسمعنهُ عنهُ من غيرهن . وفي وضع

الرجل الحكيم ان يزيل ذلك الخوف من نفس زوجته بان يفهمها أن الطبيعة التي نظمت الحمل لا يمكن ان تكون قد قصدت منهُ ايذاء المرأة . وان ما قد ينشأ عن الولادة من الحوادث التي تدعو الى الاسف انما هي بسبب خطإٍ في امكان كل حكيم عاقل ان يتلافاهُ

ومن دواعي الغبطة ان الحمل هو سبب سرور عظيم لطائفة كبيرة من النساء اللواتي يرين في هذا النظام الطبيعي دليلاً على ما فيهن من قوة الخلق . اما غيرهن فيرين في الحمل عناء تسعة اشهر ويعانين من جرائهِ اضطرابات جسمية وعقلية ويستدقُّ احساسهن حتى يصبحن شديدات الانفعال لاتفه الاسباب . وفي الواقع ان طباع المرأة تتغير في اثناء الحمل فيكثر اهتمامها بنفسها ويقلُّ اهتمامها بزوجها حتى لقد يخيَّل الى هذا انهُ اصبح نسياً منسياً — على ان التبعة التي تقع على عاتق الرجل في اثناء هذه المدة عظيمة جداً . فاما ان يستعمل الحكمة فتقوى الرابطة الزوجية بينهُ وبين امرأته . أو ان ينكب عن جادتها فيؤدي ذلك الى اضطراب حبل الزوجية

ومن دواعي الاسف ان بعض النساء لا يتاح لهن ان يلدن لسبب من الاسباب مع شدة رغبتهن في النسل . وفي هذه الحالة قد يعمد بعض الاباء الى تبني طفل اجنبي . على ان الطفل المتبنّى لا يمكن باية حالٍ ان يقوم مقام الطفل الحقيقي . والواجب يقضي على كلا الزوجين ان يستقصي اسباب العقم فقد يكون العقم لعلةٍ في الرجل او في المرأة او في كليهما معاً . بل لقد يسبب الرجلُ عقمَ المرأة

للرجل ايضاً ادوار

ان الانفعالات النفسية والجسمية التي تطرأ على المرء في الكهولة وتؤدي الى توسيع الشقة بين الرجل والمرأة ليست مقصورة على احد الجنسين فقط بل هي عامة في كليهما ولعمر الحق ان هذه هي مراحل الحياة الحاسمة . فالمرأة التي تجاوز سن الاربعين وتصبح سريعة الانفعال عليها ان تستشير طبيب الاسرة أو اي طبيب اخصائي اذ ليس من الحكمة ان تستسلم الى المؤثرات الناشئة عن ادوار الحياة المختلفة . ولقد توصل العلم الى معرفة الكثير من اسرار الغدد ومفرزاتها وما يتوقف عليها من النتائج التي تؤثر في كلا النفس والجسم . وقد يفلح الطبيب في ازالة عوامل الشقاء المخيمة على حياة الاسرة

واسوأ حالات النفس ما يعرف بالنورستانيا او انخفاض القوى والعصابية (اضطراب وظائف الاعصاب) التي تنشأ عن الخوف والقلق . ومثل هذه الحالات تنشأ في الغالب عن المشادة التي تقع بين الزوجين او هي نتيجة الخلاف بين الحياة كما هي والحياة كما يريدها الزوجان — او بين الاماني الخيالية والحقائق . وقد تنشأ ايضاً عن

الحيوية في الزوج او النسل او المال . او عن الجهاد بين الاخلاص والواجب من جهة ودواعي الغرام من جهة اخرى. وهذا الجهاد عقلي يشتدُّ بالنفس الى حدّ يبعث على اليأس

جهاد النفس

والنفس في هذا الجهاد تبحث عن حلّ يسدُّ رغباتها ويحتفظ بكرامتها ويبعد عنها ما يشين . وكثيراً ما يتفق في اثناء ذلك الجهاد ان ينشىء الفكر خللاً بدنيًّا او علة تبرر مسلكاً معيناً . من ذلك ما يعرف عند الافرنجة « بصداع يوم الاثنين » الذي يدعيه التلميذ اذا اراد الانقطاع عن المدرسة يوم الاثنين الذي يلي عطلة الاحد . وكذلك ما يشعر به أحد الزوجين من الجهد والاعياء اذا لم يرد الذهاب مع زوجه لزيارة اسرة معينة

فالشخص الذي يتحمل مثل هذه الاعذار هو عادة سريع التهيج دقيق الاحساس . وكثيراً ما يصاب بعسر الهضم او الارق او الصداع او ما اشبه من العلل . والطبيب الاخصائي في معالجة الامراض العقلية والنفسية يستطيع في مثل هذه الحالات ان يؤدي للمصاب خدمة جليلة

أما المصابون بالعصبانية (ارتباك وظيفة الاعصاب) فكأنهم يغبطون بالمرض لانهُ يوجه اليهم الابصار ويحمل الذين حولهم على توجيه العناية اليهم — سواء أكانوا في حاجة الى تلك العناية ام لم يكونوا . والعصبانية تصيب الزوجة عادة ولكنها قد تصيب الزوج ايضاً . وهي تقتضي المعالجة وليس من الحكمة اهمالها بحجة انها ناشئة عن تهيج الاعصاب فان الشخص المصاب باعراضها لفي اشد الحاجة الى نصح الطبيب الاخصائي

ولا شك ان ادعى العلل الى الاسف هي العلل العقلية . فقد تصوّر الاوهام لاحد الزوجين اشباحاً غير حقيقية وتلقي في وهمه اموراً تقضي على هنائه وسعادة اسرته . وقد ينقلب فجأة من طبع الى طبع كأنْ ينتقل من البخل الى التبذير ومن الرقة الى القساوة ومن الهدوء الى الاضطراب . ومثل هذا الانتقال كثيراً ما يكون نذير جنون مقبل ولذلك يجب توجيه العناية اليه

ومن دواعي الاسف أن القوانين الحالية في اكثر البلدان لا تبيح الطلاق في حالة جنون احد الزوجين . والعقل يقضي بإباحته اذا كان الجنون غير قابل للشفاء بشرط مرور زمن يكفي للحكم بانهُ كذلك . اذ ليس من العدل اذ يظلّ سليم العقل مرتبطاً مدى العمر برفيق حياة مجنون . وقد يكون ضعف الصحة سبب شقاء الاسرة في حالات كثيرة . وفي الواقع ان الصحة هي اساس سعادة الاسرة وهي مرتبطة بمعضلة الزواج ارتباطاً وثيقاً ونجد آثارها جلية في الوفاق بين الزوجين